الجزائر سنة1880، من خلال كتاب البلجيكي جيل لوكليرك «من ماكادور إلى بسكرة".

In Algeria in 1880, through the book of the Belgian "Jules Leclercq "From Macadore to Biskra

د:نعيم قعر المثرد–جامعة الوادي/الجزائر.

garelmetred–naim@univ–eloued.dz

ملخص:

تتناول هذه الورقة رصدا وتحليلا ثقافيا للتحولات السوسيو ثقافية والجغرافية في الجزائر خلال فترة 1880من خلال كتاب "من ماكادور إلى بسكرة" للكاتب البلجيكي "جيل لوكليرك"،حيث تأتي هذه المداخلة لتحاول فهم قراءة الآخر للأنا التي تمثل الفضاء الجزائري الجغرافي والتاريخي والثقافي وكذا الاجتماعي.

تحاول هذه المداخلة طرح أسئلة تمثلت في: ماهي الخصوصيات الثقافية التي تطبع كل مكان جغرافي ممثلة في (تلمسان،القبائل،بسكرة)وماهي مضمرات اللغة التي استعلمها الكاتب في وصفه لهاته الأفضية ؟

ماهي التفاصيل الإنسانية المختلفة التي انتبه لها الكاتب في هذه الرحلة و ما تأثيرها في ذاته الكاتبة والسائحة سلبا وإيجابا؟.

الكلمات المفتاحية:

المحلي، الجزائر، صورة، المقدس، الرحلة.

abstract:

This paper addresses a cultural monitoring and analysis of socio-cultural and geographical transformations in Algeria during the 1880 period through the book "From Mascara to Biskra" by the Belgian writer "Gill Loeckx". This intervention comes to try to understand the other's reading of the self that represents the Algerian geographical, historical, cultural, and social space.

Adapted Translation:

This paper provides a cultural observation and analysis of the socio-cultural and geographical changes in Algeria during the 1880s through the book "From Mascara to Biskra" by the Belgian author Gill Loeckx. The aim of this discussion is to explore how others perceive the Algerian geographical, historical, cultural, and social landscape.

It seeks to raise questions such as: What are the cultural specificities that characterize each geographical location represented in (Tlemcen, the Kabylie, Biskra), and what linguistic nuances did the author incorporate in describing these spaces? What are the various human details that the author noticed on this journey and their impact on the author's own perception and that of the traveler, both negatively and positively?

Keywords:

Local, Algeria, image, sacred, trip

تعتبر الرحلة سياحة بصرية وذهنية،توثقها الوسائط المتعددة؛ولعلها الآداة الأكثر قدما وامتدادا تاريخيا هي اللغة ،التي تعتبر كائنا متناميا يسكن الإنسان،ليعبر عن عوالمه الجوانية والخارجية،ولعل هذه الأخيرة هي ما تركزعليها مشاهدات الرحالة وتجعلها مادة للقراءة والتفكر والتعليق.

في كتابه المهم يرصد الرحالة البلجيكي "جيل لوكليرك- Jules leclercq(1848-1928)"[1] رحلته إلى الجزائر،حيث يسرد لنا تفاصيل دقيقة متفاوتة الأهمية،حيث يتابع عبر وصفه كل شاردة وواردة عبر توصيفه للطبيعة والعادات والتقاليد وكذا تاريخ الأماكن والمرأة وشؤونها وأحوالها وكذا الشعائر الدينية التي تعتبر نسقا دينيا مختلفا عن ثقافته الأم...

تفاعل الآخر مع المقدس وقضاياه:

يصف الرحالة البلجيكي الأجواء والمعالم الروحانية حال دخوله تلمسان قائلا عن المسجد الكبير:".. ذكرني المسجد الأعظم، المعروف باسم الجامع الكبير، بالمسجد الشهير لقرطبة، بصفوف أقواسه الطويلة على شكل هلال ومحرابه الفاخر، وبفنائه المظلل وبأشجاره النصف استوائية ومئذنته الضخمة"[2].يعقد الرحالة البلجيكي مقارنة بين المسجد الكبير الذي شيد في مدينة تلمسان ومسجد قرطبة[3*] حيث يرى امتداد الطابع المعماري الأندلسي في هذا الجامع،مفتونا به واصفا إياه بدقة وبإعجاب،وفي مشهد آخر يفتتن جيل

بجامع أبي الحسين :" وهو لؤلؤة من لآلئ تلمسان،بأقواسه المورسكية العظيمة المنحوتة بدقة وأعمدته الخفيفة من العقيق اليمان وسقفه من الأرز المنقوش بصباغات شبه ممسوحة وجدرانه التي قد نظن أنها تخاريم رقيقة ، هذا المسجد الجميل الذي يعود تاريخ بنائه إلى القرن الميلادي الثالث عشر، تم استعماله كمخزن للعلف أثناء الاستيلاء على تلمسان سنة 1842م ؛ منذ ذلك الحين تحوّل إلى مدرسة عربية فرنسية، دخلت إليها في اللحظة التي كان ينسحب فيها التلاميذ، مقبلين جبهة الأستاذ الذي اعتز لي بمدرسته بلغة فرنسية ممتازة، مع نبرة عربية خفيفة. كان الأرابيسك العجيب للجدران في جزء منه قد حجب بخرائط جغرافية فظيعة"[4]، يصف الرحالة هذا المسجد وجمالية عمرانه بخلفية العارف بهذا الفن ،حيث نجده يذكر تفاصيل العمارة المورسكية ويبعجب بالأحجار الكريمة التي ترصع هذا المسجد،كما أنه يذكر تاريخ هذا المسجد وتحولاته الوظيفية، محاولا تثقيف القارى الذي يجهل في الغالب تاريخ هذه العمارة القديمة.

ولا يزال جيل مأسورا بجمال العمارة الإسلامية عندما يدخل دوامة الوصف العجيب في قوله:"المسجد المجاور هو الآخر واحد من التحف التي تركها لنا الفن العربي: بابه من خشب الأرز مزين بالنحاس المنمق، وهو أيضاً عظيم مثل البوابات الكبرى لكاتدرائياتنا القديمة الغوطية قببه وحيطانه معمولة على شكل تخريم دقيق؛ وبشكل خاص المحراب وهو واحد من تحف الصبر والدقة التي يمكن أن نشاهدها أياماً وأسابيع كاملة دون أن نستطيع استجلاء تعقيداتها المستغلقة : لا يمكن دون رهبة، التفكير فيما تطلبه من وقت نقش هذه الآيات في أعلى المحراب تنفتح قبة فاتنة مسننة ومعدة حيث يدخل إليها

النور من عدد كبير من قطع الزجاج الصغيرة الملونة، وهذا فتنة ساحرة. كما أن المحراب مثمن الزوايا مثل محراب قرطبة"[5]،يواصل جيل هوسه بالمسجد بفلسفة تشييده وتأثيثه؛إذ يشير إلى فكرة الصبر الذي تحلى به أجدادنا في بناء هذا المعمار والوقوف على تفاصيله الجميلة.إن انبهار جيل بهذه المساجد وخاصة حال وصفه للمحراب إنما يعكس ضمنيا تعلق أسلافنا بهذه الأماكن تعتبر فضاء للسكينة ومكونا حضاريا تتجلى فيه عبقرية الإنسان المغاربي في تعامله مع المحيط وتقديمه بشكل ثقافي لائق.

لا يغفل الرحالة البلجيكي على تفاصيل الصلاة الإسلامية ليتابعها بتعجب :" رأيت ما لم يُرى أبدا بقرطبة ،المسلمون مصطفين بتناظر تحت الأقواس المورسكية داعين الله.يذكرنا ترتيلهم البطيء والصارم بغير وضوح بترتيلنا الغريغوري، ومن حين لآخر كانوا يسجدون سوية دفعة واحدة ملصقين جباههم بالأرض وتخيلت أسلافهم بقرطبة كانوا يرتلون ويسجدون بنفس الطريقة، منذ ستة قرون. حين انتهت الصلاة خرجوا في صمت، انتعلوا بلاغيهم التي كانوا قد تركوها بباب المسجد وذهبوا للتوضؤ من النافورة ذات الرخام الشفاف التي ارتفعت وسط الفناء المبلط بالجزع. ثم ذهب المريدون إلى درب مجاور وتوقفوا تحت الظل المنعش لدالية معمرة. كان يوجد هناك بيت صغير متواضع كان مقر إقامة ولي يحمل اسم أحمد بن حسن المتوفى منذ أربعة قرون، ترقد بقاياه في الداخل المتحول إلى مصلى رأيت عبر النافذة الصغيرة للمزار المؤمنين يقبلون تابوت هذا الولي الموقر، الذي كانت تغطيه أثواب كثيرة."[6] ،يحكي الكاتب مشاهداته عن الصلاة مندهشا من التناسق في الحركات والسكنات التي يؤديها المسلمون في صلاتهم ،كما يعقد مشابهة بين تراتيلها

والتراتيل المسيحية "الغريغورية"[7]* التي يؤديها المسيحيون في صلاواتهم ،ليعود بنا مرة أخرى إلى الأسلاف في قرطبة الحضارة ويروي محافظة المسلمين على طريقة آداء هذه الفريضة على مر العصور.يتحدث الرحالة عن هذه الأجواء الروحانية ،إذ يلتقط هذا الطقس بكل تفاصيله في مشهد متجانس في تفاعل الإنسان المسلم مع صلاته وعلاقته مع ربه في هذا المكان الذي يحمل ذاكرة الإنسان الحضارية.

يُبئّر "جيل" مُشاهداته حيث يصور لنا مقام "سيدي بومدين" الشهير :" دخلنا، بعد أن أزلنا أحذيتنا، إلى هذه القبة حيث يرقد سيدي بومدين منذ سبعة قرون وقلت لنفسي إذا كانت هذه الجوهرة المعمارية جد منعشة وجد محفوظة بشكل عجيب من أضرار الزمن لم يبد لي أنه تم الانتهاء منها سوى منذ شهر. اعتقدنا أننا في إقامة ساحرة بألف ليلة وليلة : فالعبقرية العربية لم يسبق لها أن ذهبت أبعد من ذلك في إبداعاتها العجيبة؛ فهؤلاء هم نفسهم من بنى قصر غرناطة، لم يقوموا بشيء جد فاخر وجد متعمق بعناية، وأيضاً معقد مثل القبة التي تأوي قبر سيدي بومدين. يرقد الولي في مدخر من خشب منحوت ومغطى بنسيج مطرز بإفراط. علقت فوق المدخر شموع طويلة وبيض النعام، ورايات ومصابيح مغربية. كان الجو مشرباً برائحة الآس الزكية، وكان هناك ضوء لطيف مخفف بألواح زجاجية ملونة طبعت كل الأشياء بنوع من الغموض"[8]،ينقل لنا الكتاب مشاهد من مقام "سيدي بومدين"،بخلفية تاريخية ناضجة،تنم عن اطلاع مسبق لروح المكان وخصوصيته؛فهو يستعيد بذلك مناخات كتاب ألف ليلة وليلة بطقوسه العجائبية الباذخة.ولعل هذه المشابهة تبدوغريبة في حد ذاتها لمكان مقدس بحجم هذا المقام،ولكن

الرحالة راح يسترسل في الوصف لدقة المطروزات الموجودة في هذا الفضاء وروائح الآس التي توضع في الأماكن المغلقة لتلطف أجواءها من الروائح المنفرة.إن الرحالة لا يكتف بوصف المشاهد ،وإنما يستثير الحواس الأخرى ليُغمر القارئ في دهشة التجربة التي عاشها جيل وينقلها لنا.

صورة الطبيعة في الرحلة:

تتنوع وتتباين صورة الطبيعة في هذا الكتاب بين البحر والسهل والجبل والصحراء ،تلك البيئة التي تزخر بها الجزائر،حيث أن "جيل" عاش عدة تجارب لما دخل الجزائر يحيث يقول:" سيكون من الصعب الحلم بمنظر جميل مثل هذا الذي نعانقه من هذه النقطة : نكتشف كل بادية تلمسان المخضرة التي تشرف عليها من كل الجهات جبال والذي ترتكز ضواحيه الجميلة بلطف لا نهائي في سماء صافية باستمرار انبثقت في مكان بعيد وسط غابة صغيرة من الزيتون القرى البيضاء ازكيدة وزاكادير وبومدين تابعت جادة محفوفة بأشجار الجوز والتين والخروب ووصلت إلى سهل شاسع مزروع بعدد لا يحصى من أشجار السرو وكله مغطى بالقبور."[9] يسرد لنا الكتاب بانورامية المشهد الطبيعي الذي شبهه بالحلم المستحيل،تلك اللوحة المتجانسة بين غابة وجبل وأشجار متنوعة وفق هندسة مرتبة بطريقة عفوية وبسيطة.يشير هذا المقطع إلى نوعية الأشجار المغروسة التي أغلبها مثمرة،مما يدل على اعتماد أهل مدينة في جانب من حياتهم على الزراعة وبما تجود به الطبيعة من مغنم.

كما لا تفوت لغة جيل المصورة "**وادي سيبوس**"[10*] البديع:" وادي سيبوس هذا ذو خصوبة كبيرة تتم به زراعة الذرة والذرة البيضاء والتبغ. تُسقى الحقول بفضل الفياضانات السنوية للنهر. تشكل أشجار التين أكبر مورد للبلد وهي ذات تشذيب ملحوظ، وهي مزروعة بكثافة وتشكل غابات حقيقية تنمو أيضاً أشجار الصبار الهندي في كل مكان بقوة رائعة، فاكهتها المسماة تين البربر تدخل بكمية كبيرة في تغذية الأهالي. وتمتد غابات الزيتون البري على منحدرات الجبال."[11]،يعتبر وادي سبوس شريان حياة بالنسبة لمنطقة القبائل وضواحيها،إذ ركز الرحالة في هذا المقطع على ملامح الحياة وطريقة تأثيث الإنسان للأراضي الزراعية التي تعتبر مصدر قُوة للسكان المحليين الذين يتمسكون بالأرض ورائحتها.

يواصل جيل اندهاشه من الطبيعة العذراء عبر توصيفه لبانوراما "**جبال جرجرة**"[12*]: "كانت المناظر غاية في الجمال، وخصوصاً، باتجاه الجنوب، حيث تشرد العين في الأودية المخضرة التي تشرف عليها مجموعة من قمم الجبال الشديدة الانحدار المتوجة بقرى القبايل. هذه القرى في الغالب ما تكون في حالة حرب فيما بينها، تحتل دائماً مواقع من المتعذر الوصول إليها تقريباً. يسد الحاجز العظيم لجرجرة الأفق : منظر السلسة الجزائرية هذا لا ينسى أيضاً مثل منظر البيريني حين نعانقها من أعلى الساحة الملكية لبو (Pau) : لكن كم هو المنظر مختلف فجبالنا الأوربية لا يمكن أن تقدم أي فكرة عن الكتل الصخرية الرائعة التي يبدو من المتعذر بلوغها، وقممها التي تبرز في القلاع، وفي قبب أجراس وفي بريجات صغيرة وفي أسوار عمودية تتعاقب القمم مثل أمواج المحيط، كلها

ذات سحنة رمادية تمتد بحيوية على سماء شديدة الزرقة"[13]،ورغم جيل يواصل وصفه العاشق والمتماهي مع طبيعة الجزائر،إلا أنه أن يشير إلى شيء بالغ الأهمية حول التضاريس الوعرة لقمم جرجرة،حيث يبني الإنسان المحلي تجمعاته وقراه حول هذه الدروب الوعرة حماية لنفسه من الغدر والدخلاء وفي هذا ينبه الرحالة إلى ذهنية القرويين الحذرة من أهل هذا الفضاء الجغرافي،ويعقد صاحب الكتاب مقارنة بين الجزائر وبلجيكا بلد نشأة الكاتب التي وصف نمطها العمراني بالسهولة واليسر في البناء.

يتابع جيل رحلته ولكن هذه المرة في مناخ آخر مختلف تماما عما شاهده في مدن الشمال الجزائري،حيث ينزل برحاله إلى الجنوب واصف "**القنطرة**"،هذا المكان الذي يفتح على الصحراء الكبرى:" من كان يتوقع أن يصادف في قلب هذا الطريق الذي في عبوره سوء، واحة مزروعة بعشرين ألف نخلة لن أنسى أبداً الانطباع الذي عشته حينها، بخروجنا من الجبال ذات المنظر المخيف، رأيت الموكب يتسع فجأة ويتحول بواسطة تباين لا يوصف، إلى واد ماتع، الأكثر روعة والأكثر رومانسية، والذي لم يشكله أبداً الإله الخالق. كانت أوراق النخيل تشع تحت ضوء القمر بانعكاسات فضية. لا أعرف هل هي جدة المشهد أم غموض العتمة أثار حماستي، لكنني أحتفظ دائماً بذكرى تلك الواحة العجيبة للقنطرة المقابلة لضوء القمر"[14]،رسخت في ذهن الرحالة مناظر الواحة التي تعتبر مختلفة في هندستها وطريقة بنائها النادرة،كما أدهشه عدد النخيل الكثيف والذي يحيط بالواحة،إذ يعتبر أن هذا المنظر.

يتماهى جيل مع رحلته حيث يعبر عن تفاعله وتفاعل أهل منطقة بسكرة التي وصلها توا مع المطر:" بمجرد ما أخذنا مأوانا انفجرت عاصفة عنيفة مصحوبة بأمطار طوفانية فوق واحة بسكرة هذه حيث تمطر السماء ثلاث مرات كل عشر سنوات أكد لنا ضباط الدائرة العسكرية بعد ذلك أنه منذ 21ماي 1876م لم تسقط ولو قطرة ماء عمل وصولنا على تفجير كل مساقط مياه السماء كاد سكان بسكرة يقفزون إلى أعناقنا بغية شكرنا. في الليلة السابقة كانت تهب رياح السموم الرهيبة بدرجة حرارة بلغت48 درجة وها هو المحرار ينزل اليوم إلى 29 درجة. لقد جلبنا الحظ لبسكرة. استمرت الأمطار طوال مدة إقامتنا، حتى أننا لم نتمكن لسبب ما من التدوين في مذكراتنا بأن السماء كانت تمطر دائماً بالصحراء، مثل بعض الرحالين الذي رأى فتاة نزل صهباء فكتب أن كل نساء البلد صهباوات."[15]يكشف لنا الكاتب مناخ الصحراء القاسي والمتمرد دائما"؛إذ أن المطر يعتبر طفرة في بسكرة حيث الجفاف الدائم واليباس،فجيل يتفاجأ بكون المطر تنزل كل عشرة سنوات ثلاث مرات، ويروي تفاءل السكان المحليين بهم لما ارتبط وصولهم بهطول المطر الغزير،فارتبط حضورهم بالخير والبركة،ولا ينس جيل تذكير كتاب الرحلة بعدم السقوط في الإسفاف والتعميم على الحالات الإستثنائية مثل مناخ الصحراء الذي يعتبر عادة جافا وقاحلا.

الآخر يكتب الإنسان المحلي:

يعتبر الإنسان المحلي خالة مختلفة بالنسبة للآخر الوافد من بيئة مغايرة،ثقافة وفضاء جغرافيا؛إذ يعتبر جيل البلجيكي الأصل ضيفا مرتحلا عن الجزائر،فهو يسجل ملاحظاته عن الإنسان الذي يسكن الجزائر باختلاف إنسانها المتعدد الهويات والثقافات.

يصور النص طبيعة الإنسان الجزائري وخاصة فئة من بومرداس التي هي مدينة في ضواحي الجزائر العاصمة،إذ يقل الكتاب:"توقفنا ،ساعات بعد ذلك،بشعب بني عائشة،سلكنا عبر بعض سهول متيجة بجبال القبايل مر عبر هذا الشعب الرومان والوندال والعرب والأتراك: كلهم اصطدموا بمقاومة لا تقهر لهذه الشعوب الشرسة المتعصبة للحرية والاستقلال من الفرنسيون لأول مرة من هنا سنة 1837م، لكن لم ينته غزو القبايل إلا بعد مرور عشرين سنة بعد ذلك"[16]،يعتبر جيل سكان بني عائشة شعبا معاندا وصعب المراس لاعتباره دائما في حالة دفاع ضد الغزاة ابتداءً بالرومان وانتهاء بالفرنسيين؛إذ فرضت عليه هذه الوضعية حالة التأهب في الطبع المعاند وهندسة المكان المنيع.

يدخل الرحالة في تفاصيل دقيقة ناقدا الإنسان الجزائري في قوله:"بما أن عربنا كانوا يتحدثون فيما بينهم بلغة القرآن، كنا أنا ورفيقي نتفلسف بهذه الطريقة. وحينما لم نكن نريد أن يفهم علي حديثنا، الذي يفهم الفرنسية، كنا نتحدث بالإنجليزية أو بالإسبانية : علي الذي كان يشك كثيراً بأننا كنا نتكلم عنه، كان يبدو وأنه جد منزعج من عدم فهمه للغتنا الغامضة. لا يمكن أن نتصور كم هو مهم استعمال لغة أجنبية بالجزائر: **الفضول هو أدنى عيب لدى العرب، وآذانهم ممدودة بلا توقف**"[17]،يتحدث جيل بذهنية كولونيالية وذلك

لما نسب العرب له في قوله"عربنا" وذلك مؤشر لاعتبار هؤلاء وأرضه خدما له،كما أنه يعيب بطريقة مموهة استعمال الجزائريين للغة القرآن(العربية) والتي لا يفهمها جيدا؛إذ وكردة فعل استعمل هو مرافقه لغة أخرى حتى لا يفهمه السكان المحليون.إن هذا يدل على ذهنية ثقافية متعالية على الثقافة المحلية التي تطبع المكان.

يروي الرحالة الطقس العجائبي لأكل طبق"الكسكس" الذي تشتهر به المنطقة المغاربية وخاصة الجزائر :" كنا نأكل بشهية طيبة بأسنان من الثقة والإيمان، مع أنه في الحل والترحال كان هذا الطبخ البدائي يدفعنا للهرب. لم يكن الكسكس بهذا السوء تماما : هذه الأكلة الوطنية للعرب والقبايليين، هي شبيهة جداً بالأرز المفلفل باللحم لدى الأتراك والفرس، يتم تحضيره من حبوب القمح المطهوة على البخار : إنه المرافق المعتاد للحم الدجاج ولحم الخروف. لقد التهم مضيفونا كميات كبيرة.كان علينا أن نعلن أنا وصديقي مبكراً، أننا انهزمنا، أمام الاندهاش الكبير للشيخ الذي واصل الهجوم بشجاعة مع الآخرين، مستعملاً من حين لآخر برنسه كمنشفة. بحثنا عبثاً، بأعيننا عن قليل من الماء لإرواء العطش الذي سببه لنا الكسكس لم يكن حينها مضيفونا منشغلين سوى بالأكل. ليس إلا ربع ساعة بعد انتهاء الوجبة، وقد أحضر قدحاً عريضاً من الماء الصافي فتناول منه كل واحد بشفتيه بالتناوب. يتحاشى العرب الشرب أثناء الأكل، وهي عادة صحية للغاية. لقد كان الماء، المقدم على قدر ما يراد، ممتازاً جداً."[18]،يعتبر جيل الدخول في أكل وجبة الكسكس بمثابة إعلان الحرب،إذ رفع رايته مبكرا معلنا شبعه هو مرافقه ،غير مضيفوه استمروا في الهجوم على القصعة المليئة بالكسكس والمرق واللحم،ويسترسل جيل في

هذاالمنحى إذ يقارن الكسكس عبر تشبيهه بالأرز المفلفل لدى الأتراك والفرس،كما لا يفوته ملاحظة أن هذا الطعام يوحد العرب والقبائل،فهو رمز لهوية مشتركة ومتعايشة.أخيرا يذكرنا جيل بأن السكان المحليين لا يشربون أثناء الأكل وهي عادة أثنى عليها الرحالة واعتبرها عادة صحية.

يكشف الكتاب عن دقة ملاحظة للرحالة من خلال هذا المقطع"كلما صعدنا الجبل، كنا نلتقي بقطيع من الماعز والغنم يقوده راع يرتدي ثياباً ممزقة : كان يحمل العصا التقليدية. نقلني هذا المشهد إلى قلب الألب. ستة أسابيع قبل ذلك كان لي لقاء مماثل على منحدرات جبل تنريفي: لا يوجد ما يميز الراعي التنريفي والراعي العربي والراعي الألبي عن بعضهم البعض : كلهم يعيشون حياة الرحل والبطريركية ونفس النمط الذي يوجد في كل بلد لكن الراعي العربي يبدو أن له تأثير كبير على قطيعه : نراه يحمل الحملان بذراعه ويمارس حذره بألف طريقة، يعين كل خروف وكل عنزة باسم خاص، والقطعان تعرف صوته وتسرع فورا حينما يجعلها تسمعه."[19]، يتقمص الرحالة البلجيكي دور الخبير بالحيوانات وعوالم الرعي ،فنجده يقارن بين الراعي المحلي ونظيره الأوروبي ،واصفا المحلي بأنه أكثر تعلقا وحميمية من الراعي الأوروبي،حيث ينادي كل عنزة باسمها وذلك دليل على أن الإنسان المحلي متعلق جدا بالأرض كل متعلقاتها.

وكخلاصة لهذه الورقة،يمكننا ملاحظة أن الرحالة البجيكي،كان مشاهدا مثقفا وعارفا معرفة قبلية بالمكان وخصوصيته الجغرافية والثقافية،إذ نجده يتكلم عن الأماكن والطبيعة والإنسان بمنطق العارف؛ولعل ما زاد هذه الرحلة متعة هو القدرة على الملاحظة

الدقيقة وسردها بحرفية عالية،كما أسلف ذكره في حديثه عن العمارة الإسلامية والعوالم الروحانية التي تميز هذه الأماكن التي بُنيت بحب كبير وتقنية وفن كبيرين.

الرحالة البلجيكي ورغم إجادته لهذا الفن إلا أن نصه لم يخلُ من الذهنية الكلونيالية ونسق الهيمنة الذي يعتبر فيه أن إنسان وأرض إفريقيا ملك مشاع لأوروبا.

المراجع:

[1] جيل لوكليرك،من ماكادور إلى بسكرة،ترجمة :بوشعيب الساوري،مراجعة الطاهر لكنيزي،منشورات الجمل ،بيروت،،ط1، 2016،ص5،4.

المعلومات الأصلية للكتاب: Jules leclercq:De Mogador a Biskra,Maroc et Algerie,;Al-Kamel Verlag2016,Paris,1881.

[2] جيل لوكليرك،من ماكادور إلى بسكرة،ص148.

[*] جامع قرطبة نتاج لسلسلة من الإضافات والترميمات التي توالت منذ بداية بنائه خلال الفترة الأميرية حتى سقوط الخلافة. وبالرغم من أن الإحالات الأولى جاءت مضطربة، فقد انطلقت الأعمال حوالي عام 169 / 785 – 786 ، خلال إمارة عبد الرحمن الأول. بعد ذلك، تدخل تقريباً كل الأمراء وكل الخلفاء في المسجد الجامع للعاصمة. شُيد هذا الأخير فوق كنيسة قوطية قديمة، وكان المسجد الأول عبارة عن بناية مربعة تتألف من صحن وقاعة مسقوفة للصلاة. قُسِّمت هذه الأخيرة بواسطة عشرة صفوف من العقود إلى 11 بلاطة متعامدة مع جدار القبلة الذي ينفتح في وسطه محراب بسيط. ومن أبرز مميزات هذا المعبد الأول استعمالُ وسيلة تمثلت في مضاعفة العقود من أجل إعطاء ارتفاع أكبر للقاعة؛ وتقوم هذه العقود المتراكبة بتناوب فقرات الحجارة البيضاء مع أخرى من الآجر الأحمر. وبالرغم من أن المادة المستخدمة كانت مستعملة ومسحوبة من بنايات رومانية وقوطية، ومنقولة إلى عين المكان، فإن الأعمال قد دامت سنوات عديدة، وتم إنهاء البناية على يد الخليفة هشام الأول.

[3] ينظر:موقع :Discover islamique art،الرابط:
https://islamicart.museumwnf.org/database_item.php?id=monument;isl;es;mon01;1;ar

[4] جيل لوكليرك،من ماكادور إلى بسكرة،ص149،148.

[5] جيل لوكليرك،من ماكادور إلى بسكرة،ص155،154.

[6] جيل لوكليرك،من ماكادور إلى بسكرة،ص148،147.

[*] يتصل الترتيل الجريجوري أو " الترتيل الحر" بصميم الطقوس الدينية الكاثوليكية وأصول الترتيل الحر نلتمسها من الحضارة القديمة. عندما انتشرت المسيحية في البلدان المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط، استقرت بعض المراكز المسيحية الكبرى باليونان، وتأثر الترتيل الطقسي بالموسيقى الإغريقية، وكانت النظرية الموسيقية الإغريقية مبنية على اللون التعبيري لعدد معين من الدواوين المقامية.

[7] يُنظر: مقال : الفن الغنائي من القرن الرابع حتى القرن الثالث عشر،الباحثون السوريون،رابط:-https://www.syr .res.com/article/12788.html

[8] جيل لوكليرك،من ماكادور إلى بسكرة،ص154،153.

[9] جيل لوكليرك،من ماكادور إلى بسكرة،ص151،150.

[10*] وادي سيبوس ،ينبع من الجرجرة ويخترق القبائل الكبرى،وينتهي غرب دلس ،ويصب في مياه المتوسط.نقلها المترجم عن:أحمد توفيق المدني،كتاب الجزائر،م.م،ص17.

[11] جيل لوكليرك،من ماكادور إلى بسكرة،ص165.

[12*] جبال جرجرة تمتد هذه الكتلة على طول 150 كلم، وهي بمثابة جدار جبلي يمتد من الشرق إلى الغرب، مشكلا قوسا منحنيا إلى الجنوب قليلا بداية من جبال بني خلفون، في الغرب (1028م)، إلى جبال اكفادو في الشرق (1646م) مع امتداده إلى رأس الكربون بخليج بجاية، ويبلغ أعلى ارتفاع في هذه الكتلة الجبلية بالقسم الأوسط في قمة حيزر (2164م) وتامدوين (2305م) قمة لالة خديجة (2308م) وهي أعلى قمة في جبال جرجرة وفي الأطلس التلي كله بالنسبة إلى الجزائر ، ويفصل بين هذه الكتلة الجبلية والجبال الساحلية حوض سيباو فالجبال الساحلية المحاذية للبحر اقل ارتفاعا من جبال جرجرة، غير أنها أقدم تكوينا، كما أن أعلى قمة جبلية في هذه الجبال قمة) تا مقوت) (1228) ، وتمتد من رأس جنات غربا إلى بجابة شرقا على طول حوالى 100 كلم كما أنها تلتقي بجبال جرجرة في اكفادو .

- محند آكلي آيت سوكي، تأثير القوى الدينية في منطقة القبائل وأدوارها ومواقفها في مختلف الجوانب الحياتية من القرن 10-13هـ/ 16-19م ، رسالة ماجستير ،جامعة الجزائر،2005-2006،ص17.

[13] جيل لوكليرك،من ماكادور إلى بسكرة،ص

[14] جيل لوكليرك،من ماكادور إلى بسكرة،ص208.

[15] جيل لوكليرك،من ماكادور إلى بسكرة،ص211،210.

[16] جيل لوكليرك،من ماكادور إلى بسكرة،ص163،162.

[17] جيل لوكليرك،من ماكادور إلى بسكرة،ص176.

[18] جيل لوكليرك،من ماكادور إلى بسكرة،ص183.

[19] جيل لوكليرك،من ماكادور إلى بسكرة،ص188.